المعمودية المسيحية وعلاقتها بالخلاص

للقس اغسطينوس حنا

يعتقد البعض أن المعمودية طقس يمارس مرة واحدة فى عمر الانسان ولذلك فلا داعى لإضاعة الوقت فى الحديث عنها!

وهذا خطأ فادح لأن المعمودية المسيحية لها معانى روحية هامة كثيرة وعلاقة جوهرية ومباشرة بخلاصنا، ولذلك قال الرب يسوع المسيح "من آمن واعتمد خلُص" (مر١٦ : ١٦)، "وأن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣ : ٥)، وقال الرسول بولس ان الله "بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تيطس٣ : ٥).

ولذلك يجدر بنا أن ندرس معانى المعمودية المسيحية وعلاقتها بالخلاص من واقع كلمة الله سواء فى رموز وإشارات العهد القديم أو شرح آيات العهد الجديد التى توضحها، لأننا كلما فهمنا ذلك أدركنا تأثيرها فى حياتنا الروحية والعملية وأمتيازاتنا و واجباتنا عن طريقها . . .

ان الخلاص الذى صنعه الرب يسوع لنا هو خلاص من الخطية وعبوديتها - وخلاص من أجرتها التى هى الموت - وخلاص من محركها الأصلى الذى هو الشيطان - وخلاص من نتيجتها الأبدية وهى جهنم .

ونحن اذا تتبعنا رحلة الماء والروح فى الكتاب المقدس من سفر التكوين الى سفر الرؤيا فسوف نجد معانى الخلاص ظاهرة فيها على النحو التالى:

أولاً - الولادة الثانية والخليقة الجديدة :

نقرأ فى سفر التكوين أن " الأرض كانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر **ظلمة وروح الله يرف على وجه المياة** ، وقال

الله ليكن نور " (تك ١:٢). ومن خلال الماء والروح خلق الله هذا العالم البديع . يقول القديس يوحنا ذهبى الفم ان الأرض الخربة الخالية المظلمة تشير الى نفس الانسان بعد السقوط ، أخربها الشيطان واخلاها من النعمة والفضيلة وخيّم عليها بظلمة الخطية والموت . ثم من خلال المعمودية بالماء والروح جدد الله الخليقة وخلق من قلب الانسان جنة جميلة يستريح فيها ويقول عنها " لقد دخلت جنتّى يا اختى العروس " (نش ٥:١) ولذلك يقول الكتاب " ان كان احد فى المسيح فهى خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً " (٢كو ٥:١٧).

ثانياً - الخلاص من الدينونة :

فى قصة الطوفان (تك ٦-٩) . انقذ الرب نوح واسرته المؤمنة بالماء والروح أيضاً وأهلك العالم الشرير العنيد بالماء عندما رفض التوبة بكرازة الروح القدس على فم نوح .

وقد شرح الرسول بطرس هذا الرمز بقوله ان نوح واسرته خلصوا عن طريق الفُلك بطريق الماء الذى رفع الفُلك وعمل الروح القدس الذى اقنعهم بالدخول الى الفُلك .

وان العالم الذى رفض كرازة الروح القدس على فم نوح ولم يدخلوا الفُلك قد هلكوا بماء الطوفان . **وقال ان ذلك مثال المعمودية التى يخلصنا الرب بها الآن** (١بط ٣:١٨ - ٢١).

- أذن كما خلص الله نوح واسرته المؤمنة بطاعة الايمان وعمل الروح القدس والماء من دينونة غضب الله فى الطوفان ، هكذا يُخلصنا نحن أيضاً الآن بالايمان والمعمودية فى المسيح فُلك نجاتنا من طوفان النار والغضب الآتى . ولذلك يقول

الكتاب " أذن لا دينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع " (رو ١:٨) ، أنظر ايضاً (يو ٢٤:٥).

ثالثاً – البنوية والدخول فى عضوية شعب الله :

كان طقس الختان يمارس للطفل فى اليوم الثامن كعلامة لعهد الله مع ابراهيم ونسله . ولما كان الختان رمزاً للمعمودية حسبما اوضح الرسول بولس فى كولوسى (١١:٢). لذلك فأن الكنيسة تُعمد الأطفال وبذلك ينالون التبنى ويرضعون الايمان من الطفولة .

رابعاً – الخلاص من الشيطان :

فى مثال عبور بنى اسرائيل البحر الأحمر وغرق فرعون (خر١٤). نرى رمزياً غرق الشيطان فى جرن المعمودية . **فيقول الرسول بولس شارحاً ان اباءنا اعتمدوا لموسى فى السحابة (رمز الروح القدس) والبحر . . . اى الماء والروح** (١كو ١٠:١-٤) . ولذلك تمارس الكنيسة طقس جحد الشيطان للمعمد واقرار الايمان بالسيد المسيح .

خامساً – الخلاص والشفاء من الخطية :

إن المعمودية تخلصنا من الخطية ممثلة فى شفاء نعمان السريانى من مرض البرص ، الذى يرمز الى الخطية باعتبار أن كليهما مرض مُعدى ومميت ويشّوه الانسان وينجسه، بالغطس فى مياه نهر الأردن سبع مرات (٢مل ٥)، فشفى تماماً من البرص وصار لحمه كلحم صبى صغير مولود من جديد .

سادساً - الخلاص من الجسد :

ممثلاً فى عبور ايليا النبى نهر الأردن قبل صعوده الى السماء فى العاصفة بالمركبات الملائكية النارية (٢مل ٢). ولما صعد سقط عنه رداؤه كدليل على تغيير جسده من الطبيعة الترابية الى الطبيعة الروحانية النورانية (١كو ١٥:٤٧-٤٩) ، ونحن فى المعمودية نتغيَّر من الطبيعة الجسدية الموروثة من آدم - والمعبَّر عنها بالانسان العتيق- الى طبيعة جديدة روحية على صورة الله فى البر والقداسة (رو٦).

سابعاً - الموت مع المسيح :

ومن معانى المعمودية وعلاقتها بالخلاص ما جاء فى رومية ٦ عن الموت والدفن مع المسيح "**فدفنا معه بالمعمودية** " والشخص الذى مات قد تبرأ من الخطية وخلص منها اذ لن يعود يرتكبها فالخطية لا تؤثر فى الميت . ولذلك يقول الرسول بولس " إحسبوا انفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بربنا يسوع المسيح " (رو ٦:١١) . ولذلك نمارس المعمودية بالتغطيس رمز الموت والدفن مع المسيح.

ثامناً - القيامة مع المسيح فى جدة الحياة :

فى تغطيس الشخص المعمد فى الماء باسم الثالوث الاقدس ، مثال اتحاد المؤمن بشبه موت المسيح وقيامته فى حياة جديدة مقدسة منتصرة على الخطية والموت والشيطان .

فالشخص الذى قام يعتبر مولوداً ولادة جديدة لحياة جديدة . " أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما اقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدّة الحياة . . . (رو ٦:٣-٥).

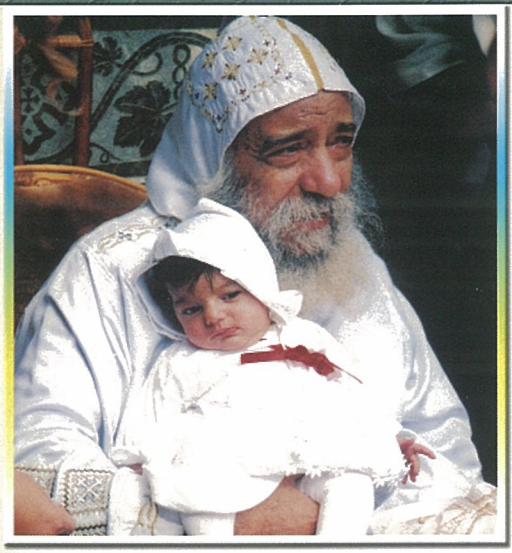

تاسعاً – لبس المسيح :

يقول الرسول بولس " أن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح " (غل ٣:٢٧) . ولبس المسيح يعنى الاختفاء فى المسيح وظهور المسيح فينا . ويعنى ارتداء رداء بر المسيح وثياب الخلاص ... ولباس العرس (متى ٢٢:١٢).

ويقول الرسول بولس " إلبسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات " (رو١٣:١٤).

St. John Coptic Orthodox Church
Covina, California

Tel. (909) 592-8847 (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org
Website: www.mystjohn.org